وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم نعف الامير على بابنا ثم انها اخذت كوزا
جديدا وملاته ماء وقالت للمناول منها اعذرونا فاخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب
الشرب من ذلك الماء فقال لمن هذه الدار يا امير قالوا لا بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم
الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت البارحة انه احرم بالحج
وسافر ولم يخلف لعياله شيئا واخبرت انهم البارحة باتوا بلا عشاء فقال الامير ونحن ايضا
قد ثقلنا عليهم اليوم وليس هذا من المروة ان يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من
وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من احبني فليلق منطقته فحل اصحابه مناطقهم ورموا
بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم اهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه
المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير بثمن المناطق مالا جزيلا فلما رات الصغيرة ذلك
بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب ان تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت
يا ام انا ابكي كيف بتنا جياعا ونظر الينا مخلوق نظرة واحدة فاغنانا بعد فقر فالكريم
الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى احد اللهم انظر الى ابينا ودبره باحسن التدبير واما ما كان
من امر حاتم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع امير الركب فطلب طبيبا فلم يجد
فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي فامر له بما يركب
وما ياكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في امر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من اصلح
معاملته معنا اصلحنا معاملتنا معه ثم اخبر بما كان من امر عياله فاكثر من الثناء
على الله سبحانه وتعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته اولاده فعانق الصغيرة وبكى ثم قال
صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى اكبركم وانما ينظر الى اعرفكم به فعليكم
بمعرفته والاتكال عليه فانه من يتوكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكماء من
ايقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم ان الذي قضى عليه لم يكن ليخطئه
فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد وفضله كفاه همه ونجح عمله
وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال
لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا
سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء
لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رفع للرشيد ان
بدمشق رجلا من بني امية عظيم المال والجاه كثير الخيل والخدم يخشى على المملكة منه
وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة
الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله

له

له الا اذا امتنع عليك واذا اجاب فقيده وعادله بعد ان تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به
واذكر لي حاله وماله وقد اجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما افهمت
قلت نعم فسر على بركة الله تعالى فخرجت اطوي المنازل ليلا ونهارا لا انزل الا للصلوة ولقضاء
الحاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي
فاذا دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم ونعمة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب
متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت الدار بغير اذن فبهتوا وسالوا عني فقيل رسول امير
المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رايت اقواما محتشمين ظننت ان المطلوب فيهم فسالت
عنه فقيل هو بالحمام فاكرموني واجلسوني وامروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وانا اتفقد
الدار واتامل الاحوال حتى اتى الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة
وغلمان فسلم خفيا وسالني عن امير المؤمنين فاخبرته انه في عافية فحمد الله تعالى ثم احضرت
له اطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة فتاملت المآكير اذ لم يكنني فقلت ما اكل فلم يعاودني
ورايت ما لم اره الا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رايت احسن ترتيبا ولا اعطر
رائحة ولا اكثر منه فقال تقدم يا منارة فكل فقلت ليست لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت
الى اصحابي فلم اجد احدا منهم عندي فجزعت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه
احضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم الركوع والسجود واكثر من الدعاء بعدها فلما
فرغ استقبلني وقال ما اقدمك يا منارة فناولته كتاب امير المؤمنين فقبله ووضعه
على راسه ثم قراه فلما فرغ استدعى جميع بنيه وخواصه واصحابه وسائر غلمانه فضاقت الدار
بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق
والصدقة وسائر ايمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف امره ثم اوصاهم
على الحرم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات اقيادك يا منارة فدعا بالحداد فقيده وحمل
حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا بظاهر دمشق ابتدا يحدثني بانبساط ويقول
هذه الضيعة لي تحمل كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي فيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا
وكذا وهذه المزارع يحصل لي فيها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا الست تعلم ان امير المؤمنين اهمه
امرك حتى انفذ في طلبك وهو بالكوفة ينتظرك وانت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد
اخرجك من منزلك ومن بين اهلك ونعمتك فريدا وحيدا وانت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك
ولا سالتك عنه وكان شغلك بنفسك اولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد اخطات
فراستي فيك يا منارة وما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا بوفور عقلك واذا انت
جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء اما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي
وناصية امير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشية الله تعالى فان كان قد قضى علي بامر

Copyright © King Saud University